أمريكا رؤية من الداخل

أسئلة محرجة جدا

بعد أن هدأ الضجيج الذى أثارته الولايات المتحدة أثناء عدوانها على العراق، بدأ قطاع من الرأى العام فى أمريكا وبريطانيا فى مساءلة ومحاسبة الإدارة الأمريكية عما قالت وما فعلت فى هذه الحرب.. قبل الحرب وأثناءها كان الضجيج الإعلامى يملأ الصحف وشبكات التليفزيون ويشوش على عقول الجميع، ولا يعطى فرصة لأحد لأن يسمع كلمة حق تقال.. وفى الحرب أعلن قادة البيت الأبيض أن كل من سيقول كلمة نقد أو اعتراض سيعتبر خائنا لبلده فى وقت الحرب.. وهذه تهمة تعادل تهمة الخيانة العظمى.. ولكن بعد ذلك بدأت ضجة الأكاذيب السياسية والإعلامية تخفت، وبدأت العقول تعود إلى رشدها، وبدأت الأسئلة المحرجة توجه إلى الإدارة الأمريكية والبريطانية، وبدأ وقت الحساب يقترب..

صحيفة الاندبندنت البريطانية التى كان موقفها معتدلا ومتوازنا تجاه ضرب العراق، وضعت مجموعة من الأسئلة نشرتها فى عددها يوم ١٦ أبريل ٢٠٠٣ كما يلى:

أولا: أين أسلحة الدمار الشامل؟.. وهل كان هناك من الأساس أية أسلحة دمار شامل؟.. لقد كان التأكيد على وجود هذه الأسلحة قاطعا، وكانوا يقولون: إنهم يعرفون مكانها وقدموا صورا لمواقعها، وكان ذلك هو سبب الحرب والمبرر الشرعى لها، وكان جوهر قرار مجلس الأمن ١٤٤١ هو هذه الأسلحة، وبعد الحرب لم يظهر دليل واحد مؤكد على وجود أسلحة كيماوية، أو بيولوجية، أو نووية، وقد أعلنت الولايات المتحدة أن هناك ثلاثة آلاف موقع قام فريق التفتيش الدولى بتفتيشها ولم يجدوا شيئا، وأعلن هانز بليكس رئيس فريق التفتيش التابع للأمم المتحدة صراحة بأن هدف الولايات المتحدة منذ البداية كان الحرب وليس اكتشاف الأسلحة، وقال: إن الولايات المتحدة بدأت الحرب على العراق بمجرد بدء بغداد فى التعاون مع المفتشين، وحتى بعد الحرب سلم عامر حمودى السعدى المستشار العلمى لصدام حسين نفسه، وأكد مرة أخرى- وهو أسير- أنه لا يوجد فى العراق أسلحة دمار شامل.

وفى الولايات المتحدة أثيرت نفس التساؤلات والشكوك. ففى صحيفة«هيرالدتر يبيون» يوم ٧ أبريل ٢٠٠٣ مقال بعنوان (لغز أسلحة صدام المحظورة)، كتبه جون وولفستال jon wolfsthal نائب مدير مشروع منع الانتشار النووى فى مؤسسة «كارنيجى» للسلام الدولى بواشنطن، قال فيه: إن التساؤلات تتزايد يوما بعد يوم فى أمريكا عن هذه الأسلحة، بعد أن كان الأمريكيون قد صدقوا تقرير المخابرات الأمريكية عن تأكدها من وجود هذه الأسلحة، ومعرفتها لأماكن إخفائها، وصدقوا ما أعلنه قادة البيت الأبيض مرارا بأن العراق يمثل تهديدا للأمن القومى الأمريكى. ويتساءل كثيرون إذا كانت المخابرات الأمريكية تعلم أماكن هذه الأسلحة فلماذا لم تقدم هذه المعلومات إلى مفتشى الأمم المتحدة، وبذلك كان يمكن تدميرها ولا تكون هناك ضرورة لهذه الحرب؟.. ولو قالت القوات الأمريكية بعد ذلك: إنها وجدت هذه الأسلحة بالصدفة مخبأة فى مكان ما، فقد كان فى وسع المفتشين أن يجدوها وكل الأرض والمواقع العراقية كانت مفتوحة أمامهم، وكان يمكنهم أن يحصلوا على وقت أطول حتى يجدوها، ولم يكن أحد يعارض فى ذلك.. بل كان الجميع يطالبون بإعطاء المفتشين المزيد من الوقت.

ويقول جون وولفستال: إن ما هو أسوأ بالنسبة للادعاء الأمريكى أنه إذا أعلنت أمريكا بعد ذلك عن اكتشاف أسلحة دمار شامل فى العراق فسيؤدى ذلك إلى تأكيد نظرية المؤامرة، وسيدرك الجميع أن القوات الأمريكية هى التى جاءت بهذه الأسلحة، وهذا طبيعى مع تعمق المشاعر المعادية لأمريكا وتزايد الشك فى المعلومات التى تقدمها، وانتشار هذه المشاعر والشكوك فى الشرق الأوسط وأوربا، ولذلك سيكون على أمريكا أن تقوم بحملة دعاية وعلاقات عامة أكبر من سابقاتها لإقناع دول العالم بأن الأسلحة المكتشفة هى فعلا من صنع صدام حسين وليست من صنع أمريكا!

والحل كما قال وولفستال أن تعمل إدارة الرئيس بوش على عودة مفتشى الأمم المتحدة إلى العراق فورا، لكى يتولوا هم مهمة البحث دون تدخل القوات الأمريكية، حتى يمكن اكتساب ثقة العالم فى السلوك الأمريكى، وفى المعلومات التى ستعلن، أما

إذا لم يتم اكتشاف هذه الأسلحة فسوف يكون الأمر محرجا للرئيس بوش نفسه، لأنه قال وأكد مرارا، ومازال يؤكد إلى الآن أن لديه أدلة لا يرقى إليها الشك على وجود أسلحة دمار شامل.. وتكون هذه ورقة بالغة التأثير فى يد جماعات ودول كثيرة لتشويه سمعة الولايات المتحدة، ودليلا لا يستطيع أحد إنكاره على أن الأسباب المعلنة لحرب أمريكا على العراق لم تكن أسبابا حقيقية، أما ما قالته الإدارة الأمريكية بأن العراق قام بتهريب هذه الأسلحة إلى الخارج فلم يصدق ذلك أحد، لأنه إذا كان العراق قد ابعد هذه الأسلحة عن متناول يده خارج أرضه فلماذا احتفظ بها؟.

وفى النهاية يصل المسئول الأمريكى إلى أن أهم نتائج هذه الحرب القضاء تقريبا على مصداقية أمريكا فى العالم، ويمتد الشك إلى اتهامات أمريكا لكوريا الشمالية وإيران أيضا.

ومن أسباب إلى انهيار الحجج الأمريكية أنها فرضت الحصار على العراق، وقررت الحرب بسبب أسلحة الدمار الشامل. ثم فرضت على مجلس الأمن رفع الحصار لكى تتحكم وحدها فى أموال وبترول العراق دون أن تعلن خلو العراق من هذه الأسلحة..

▣ ▣ ▣

وهل أقنعت أمريكا الشعب العراقى بأن هذه الحرب وما أحدثته من خراب، إنما كانت لتحريره؟

الإجابة قالها إثان برونر Ethan Bronner فى مقال فى «هيرالدتريبيون»، وذكر أن العراقيين يريدون العيش فى مجتمع حر، ولكنهم يسيئون تفسير كل شىء يتعلق بالخطط الأمريكية فى بلادهم، فالعراقيون يعتقدون أن الولايات المتحدة التى فرضت الحصار الاقتصادى عليهم وجعلتهم يعيشون فى معاناة شديدة اثنى عشر عاما، لا يمكن أن تكون حريصة على مصالحهم إلى حد إشعال حرب من أجل تحريرهم.

وإثـان برونـر عمـل مراسـلا فـى الشـرق الأوسـط منـذ ثمـانى سـنوات، وزار العـراق كثيرا، وعرف عنها الكثير من التفاصيل.. وقد قال: إنه أينما ذهب أثناء زيارة للعراق وجد النـاس يقولـون: إن مشكلة العـراق هـى أمريكـا وليست صدام، وإن واشـنطن هـى المسئولة عن الحصار وحياة الحرمان التى عاشوها، وإن أمريكا لا تريد وجود دولة عربية قوية ومستقلة، وذلك هو سبب عدوانها عليهم، وإن كـان هنـاك من يلقون باللوم على قيادة العراق السابقة، فقد فاز صدام حسين فى آخر استفتاء شعبى قبل الغزو بنسبة تزيد على ٩٩٪ من أصوات الشعب العراقى، ولو كان هذا الاستفتاء حرا ونزيها لكان صدام حصل على نسبة تتراوح بين ٥٥٪ و٦٠٪، ولذلك وجدت أمريكا صعوبات كثيرة حين أرادت تحويل العراق، وفقا لما تريد.. هكذا قال الكاتب الصحفى الأمريكى.

▣ ▣ ▣

وصحيفة «هيرالدتر يبيون» كتبت افتتاحيتها يوم ١٠ أبريل ٢٠٠٣ بسخرية عما كانت تفعله الإدارة الأمريكية من نشر الذعر بين الشعب الأمريكى والقوات الأمريكية فى الكويت من أسلحة الدمار الشامل التى سيستخدمها صدام خلال ٤٥ دقيقة فقط!، حتـى إن النـاس والجنـود كـانوا يضـعون الأقنعـة الواقيـة، ويـتم تطعـيمهم بالأمصـال المضادة لغازات الأعصاب، والانتراكس وتدريب الجميع على الوقاية من الأسلحة الكيماوية والبيولوجية، والكتيبات الارشادية التى كانت توزع بمئات الآلاف ويحفظ الجميع ما فيها بدافع الرعب، والإعلان عن وجود براميل فارغة بها آثار مواد كيماوية، وتدمير مصنع لإنتاج المبيدات الحشرية والتأكيدات الأمريكية الرسمية بأن ترسانة العراق بها ٥٠٠ طن من غاز الأعصاب وغاز الخردل، و٣٠ ألف قذيفة معدة لإطلاقها، ومواد جاهزة لإنتاج ٢٥ ألف لتر من الجمرة الخبيثة و٣٨ ألف لتر من المواد السامة ومعامل لإنتاج الأسلحة الجرثومية، ثم ظهر أن كل هذا الحشد السياسى والإعلامى كان كذبا فى كذب.. وكيف يمكن أن يصدق الرأى العام العالمى أمريكا بعد ذلك مادام التلاعب بالأدلة، واستسهال الكذب إلى هذا الحد؟..

▣ ▣ ▣

ولا أحد يعرف هل شعر وزير الخارجية الأمريكى كولن باول بالخجل لأنه قدم رسميا بصفته وزير خارجية أمريكا إلى مجلس الأمن تقريرا وصورا عن مواقع هذه الأسلحة قال: إن المخابرات الأمريكية التقطتها بالأقمار الصناعية، بعد عمليات التفتيش، كما أعلن رسميا أن العراق قام بالحصول على مواد نووية من النيجر، ثم تبين أن هذه المعلومات مزورة ولا أساس لها، وإذا كان صدام حسين يمتلك هذه الأسلحة وأخفاها فلم يكن لديه سبب لذلك إلا أن يستخدمها فى اللحظة الأخيرة عندما يفقد الأمل، ولكنه وصل إلى هذه اللحظة ولم يستخدم شيئا من هذه الأسلحة، والنتيجة من كل ذلك أن ظهور أسلحة دمار شامل فى العراق، ليس لها تفسير إلا أنها حلقة من سلسلة المعلومات والأدلة الملفقة.

▣ ▣ ▣

ويعد الحرب اختفى صدام حسين.

الشائعات التى أطلقتها أمريكا أنه هرب إلى روسيا البيضاء، وشائعات أخرى بأنه اختفى فى بغداد، حيث أقام مدينة كاملة تحت الأرض يمكنه أن يعيش فيها ويتحرك بحرية لمدة سنة، وقالت «الاندبندنت»: هل يعقل أن يسجن صدام حسين نفسه تحت الأرض ولا يجد وسيلة للهروب؟ أما الروايات الخيالية من تأليف هوليود عن رجال كثيرين يشبهون صدام حسين، فقد حان الوقت لسؤال من روجوها فى الإدارة الأمريكية : أين هم هؤلاء الرجال؟ وقالت «الاندبندنت»: إن الذى ظهر فى بغداد وسط الناس هو صدام حسين الذى قالت المخابرات الأمريكية: إنها تستطيع تمييزه بعلامة على خده الأيسر، وفى نفس الوقت أعلنت أنه لم يقتل فى الغارة الجوية التى قصف فيها المقر الذى قيل: إنه كان فيه فى حى المنصور فى بغداد، وتبين أن الغارة قتلت أربعة عشر شخصا كلهم من المدنيين. وقالت أمريكا: إنها حصلت على الحامض النووى لصدام حسين وولديه ولم تعلن نتيجة التحليل.. ولم يكن لدى الأمريكيين دليل على ما قالوه من أن صدام حسين هرب إلى دمشق ومنها إلى روسيا، بينما كان

العراقيون يهمسون بأن الأمريكان هم الذين فتحوا أمامه طريق النجاة، كما فعلوا في حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١، وأنهم أرادوا أن يجعلوا منه ذريعة دائمة لما يعتزمون القيام به في العراق، تماما كما فعلوا في مسلسل البحث عن أسامة بن لادن والملا عمر وقادة تنظيم القاعدة والحديث عن مطاردتهم في كل مكان في العالم!

▣ ▣ ▣

وماذا عن علاقة صدام حسين بتنظيم القاعدة؟.. وهي الحجة التي جعلتها أمريكا من أهم مبررات العدوان على أساس أنها حلقة في مسلسل الحرب على الإرهاب.. وقد سارعت الإدارة الأمريكية في اليوم التالي لهجمات ١١ سبتمبر باتهام صدام حسين، وشنت حملة لتحويل الغضب في الرأي العام الأمريكي إلى العراق، وكانت هذه الحملة من الإلحاح والشمول بحيث جعلت نصف الأمريكيين يعتقدون أن صدام حسين هو المسئول عن هذه الهجمات، وفي مرافعة كولن باول أمام مجلس الأمن في فبراير ٢٠٠٣ ادعى وجود أدلة لدى أمريكا عن علاقة العراق بكبار عملاء القاعدة، وفي بيان رسمي أمام مجلس العموم البريطاني أعلن رئيس الوزراء تونى بلير في يناير من نفس العام أنه توجد أدلة استخبارية عن وجود روابط بين أعضاء القاعدة والعراق، وقال: أنا لا أستخدم ذلك تبريرا لأي شيء نفعله. وفي فبراير صعدت الولايات المتحدة مشاعر الرعب في الشعب الأمريكي بإعلان أن لديها معلومات استخبارية بأن تنظيم القاعدة سوف يشن هجمات في بريطانيا خلال أيام تماثل هجمات ١١ سبتمبر، واحتشدت الدبابات والقوات، وانتشرت فرق البوليس المسلح في مطار «هيثرو» في لندن، وأخبر بلير لجنة من كبار أعضاء مجلس العموم بأن لديه تأكيدات بأن تنظيم القاعدة سينفذ هجوما في بريطانيا، ولكن لا يوجد لديه دليل على أن العراق كان متورطا في هجوم ١١ سبتمبر أو في أي عمل إرهابي آخر قامت به القاعدة، وقال: إن هناك تعارضا أيديولوجيا كبيرًا بين تنظيم القاعدة الذي يتكون من المتطرفين الإسلاميين وبين حزب البعث وهو حزب علماني..

والسؤال: لماذا لم يقدم أحد الدليل على وجود العلاقة بين العراق والقاعدة والعمليات الإرهابية ضد أمريكا وتهديد أمن أمريكا؟.

لا إجابة..

▣ ▣ ▣

وهل شعر العراقيون أنهم تحرروا؟

قالت «الاندبندنت»: لقد تغيرت مظاهر الترحيب بالجنود الأمريكيين التى صورها التليفزيون الأمريكى.. بينما القوات الأمريكية تقتل المدنيين العراقيين، وتسمح بعمليات النهب دون تدخل لمنعها، يضاف إلى ذلك الفشل فى إعادة الكهرباء والمياه التى انقطعت بتدمير أمريكا للمنشآت العراقية، ومعاملة الجنود الأمريكيين للمواطنين العراقيين على أنهم جنود احتلال، وانتشار حالة الاضطراب فى البلاد، كل ذلك جعل العراقيين يرون أن وجود الاحتلال الأمريكى فى بلدهم ليس إلا نوعا من القهر والعنف حوّل بلدهم من بلد مستقر يعانى من آثار الحصار إلى بلد فوضوى وعنيف يعانى من آثار الدمار ومن الاحتلال.. ومع إطلاق النار دون تمييز، وتحول بعض مناطق بغداد إلى مناطق لإطلاق النار بحرية، جعل العراقيين يرون الجنود الأمريكان أعداء وليسوا أصدقاء. وعانى العراقيون من الإهانات عند المتاريس ونقاط التفتيش الأمريكية، وخضعوا للمعاملة بقسوة وفظاظة أثناء تفتيشهم ذاتيا وتفتيش سياراتهم، وقد تساقط الجنود الأمريكيين، وسمحت القيادة الأمريكية بنهب الأسرة والمعدات والأجهزة والأدوية من المستشفيات، وجدت اللجنة الدولية للصليب الأحمر أن ٣٣ مستشفى من مجموع مستشفيات بغداد وعددها ٣٥ مستشفى غير صالحة للعمل وخالية من المرضى، بالإضافة البيوت والمحال التجارية وإباحة الأمريكيين القصور والمتاحف والوزارات للنهب وتدمير السجلات، فيما عدا وزارة البترول التى حرصت أمريكا على حمايتها. مع كل ذلك تحولت مشاعر العراقيين، وبعد أربعة أيام فقط من إسقاط تمثال صدام حسين،

احتشد المتظاهرون للهتاف بشعارات معادية لأمريكا، ولم يكن على لسان العراقيين سوى سؤال واحد : متى سيرحلون؟.

أما الاحتفال بعيد ميلاد الحاكم الأمريكى الأول للعراق جاى جارنر فكان سببا إضافيا لاستفزاز مشاعر العراقيين زاد من اشتعال الغضب.